استراتيجية العمل الفدائي

بقلم سمير كرم

السؤال الاساسي والاول الذي يطرحه التفكير في موضوع استراتيجية العمل الفدائي ، والذي لا يمكن دون الاجابة عليه الانتقال من التجريد النظري في الموضوع الى مستوى التطبيق وحفر ارض الواقع ، هذا السؤال هو : هل هناك استراتيجية واحدة لكل عمل فدائي ؟ وبعبارة اخرى ! هل استراتيجية العمل الفدائي في دول امريكا اللاتينية .. مثلا هي استراتيجية العمل الفدائي في فيتنام ، هي استراتيجية العمل الفدائي في فلسطين المحتلة ، أو في المستعمرات البرتغالية في افريقيا ..؟

لقد رسخ مفهوم الاستراتيجية كواحد من المفاهيم العلمية التي لا غنى عنها في تحديد قضايا العمل الثوري بكل أبعاده السياسية والعسكرية بعد أن كان مفهوما قاصرا على الجهد الحربي البحت . بل ان استعادة مفهومي الاستراتيجية والتكتيك من قواميس الحرب لاستخدامها في قواميس الثورة والتحرر الوطني والنضال الشعبي لم يكن من ضروب الصدفة ، بل كانت له أسبابه الموضوعية ودلالاته . فانه لا يمكن قيادة حرب ثورية دون دراسة قوانين الحرب الثورية كما ان « قوانين الحرب .. هذه مسألة ينبغي على أي امرىء يدير حربا ثورية أن يدرسها وأن يحللها » (ماوتسي تونغ) .

لكن .. ليست هناك فحسب قوانين مطلقة للحرب الثورية ، بل هناك قوانين أيضا لكل حرب ثورية على حدة . فان قوانين الحرب ـ حتى القوانين العامة الاستراتيجية منها ـ تتطور ، وتطورها مرتبط بواقع البيئة التي تدور فيها وظروفها وكوادرها الثورية ومقاتليها . وهذا هو بالتحديد المعنى الذي قاله ماوتسي تونغ ـ في واحد من أشهر المؤلفات عن « استراتيجية الحرب الثورية » ـ « انه لا ينبغي علينا وحسب أن ندرس قوانين الحرب بشكل عام ، بل يجب علينا أن ندرس القوانين الخاصة بحرب ثورية بعينها » .

ولا يعني هذا بأي حال من الاحوال أن هناك جدارا أو حائطا صينيا عظيما ، يفصل بين تطور الحروب الثورية المختلفة ، ولا يعني ان فيتنام تجربة لا تستحق النظر طالما ان فيتنام بلد غابات، وفلسطين بلد سهول ! وانما هذا يعني في الاساس ان تدار الحرب الفدائية باستراتيجية متطورة تدرس قوانين الحرب العامة كما تدرس قوانين الحرب الخاصة لثورة معينة أو حركة مقاومة بعينها . والامر ليس مجرد أمر البيئة الجغرافية .. ان الاستراتيجية الفدائية تضع في حساباتها اعتبارات أخرى وأهم .. هي اعتبارات الواقع الاقتصادي والاجتماعي والتطور التاريخي للبلد المعين . فاستراتيجية الحرب الثورية في فيتنام تضع في الاعتبار كل هذه العوامل :

- طبيعة النظام الاقطاعي الخاضع للاستعمار السائد في الجنوب الفيتنامي .
- طبيعة التركيب الطبقي للمجتمع في فيتنام الجنوبية .
- وجود الشمال الفيتنامي المتحرر وواقعه الاقتصادي والعسكري .
- وجود المعسكر الاشتراكي والتقدمي وامكانياته الاقتصادية والدفاعية أيضا .

أما الطبيعة الجغرافية للبلد المعين فانها ليست سيفا قاطعا يأمر بشن الحرب الثورية الفدائية في بلد وبالامتناع عن هذه الحرب في بلد آخر ، بل ان الدور الذي تلعبه الطبيعة الجغرافية للبلد المعين لا يكاد يغير الا من تكتيكات العمل الفدائي واساليبه المؤقتة .

استراتيجيات مختلفة

هناك اذن استراتيجية تشكلها القوانين العامة للحرب الثورية .. ومع ذلك فهناك استراتيجيات للحروب الثورية أو الفدائية . وتدخل في تحديد هذه الاستراتيجيات أيضا العوامل المحددة لطبيعة الاختلافات بين حرب ثورية شعبية وحركة مقاومة مسلحة وحركة فدائية محدودة. وبين هذه الكيانات الثورية اختلافات نوعية واختلافات في الدرجة .

العمل الفدائي على أرض وطن محتل على النحو الذي تشكله المقاومة الفرنسية على أرض فرنسا في ظل الاحتلال النازي في الاربعينات يمثل مستوى نوعيا من العمل الفدائي الثوري .. وله استراتيجية خاصة . فالمقاومة المسلحة هنا تتم داخل الوطن الواحد ضد حكم عسكري أجنبي محاط بشعب معاد في مجموعه لهذا الاحتلال . ومهما قيل من ان الاسلحة كانت تأتي لمنظمات المقاومة من خارج فرنسا فان عمليات المقاومة الفرنسية كانت تتم داخل البلاد بأيد فرنسية ضد منشآت العدو ، حتى وان كانت في أصلها منشآت فرنسية . هنا لم تكن المقاومة الفرنسية تستهدف الاحتلال التدريجي لمناطق فرنسية ورفع السيطرة العسكرية النازية عنها . انما كانت تستهدف جعل وجود هذا الاحتلال على أرض فرنسا أمرا غير محتمل من نواحيه الاقتصادية والنفسية ، ربما قبل نواحيه العسكرية . فكانت المقاومة الفرنسية عملا مرحليا في انتظار عمل أساسي تقوم به جيوش الحلفاء ، ثم مساعدة لهذه الجيوش عندما شرعت ومضت في القيام بدورها .

العمل الفدائي لمنظمات التحرير في مستعمرات البرتغال في افريقيا ليس مجرد « مقاومة » وانما هو حرب تحرير لها استراتيجيتها الخاصة التي ترمي الى الوصول الى التوازن مع قوة العدو المستعمر. ثم شن الهجوم عليه والزحف لتحرير الارض المستعمرة شيئا فشيئا واقامة سيطرة متحررة عليها عسكريا واداريا واقتصاديا ، وان لم تشمل هذه السيطرة أرض الوطن كله في وقت واحد .

العمل الفدائي في دول أميركا اللاتينية ـ في بوليفيا وفنزويلا مثلا ـ نشاط داخلي ضد قوة داخلية في الاساس مهما كانت المساندة الاستعمارية الخارجية لاحد الطرفين هو هنا عمل يستهدف اسقاط النظام وليس اخراج قوة احتلال . ولهذا العمل الفدائي في هذا المستوى أيضا استراتيجيته الخاصة .

وبهذا المعنى فان العمل الفدائي يمكن أن يكون في أطار حرب وطنية بين شعب وطني معين وقوة خارجة عنه ـ أو في حرب طبقية ، بين طبقتين أو اكثر في وطن واحد حتى وان كانت جميعها تتم في مرحلة من التطور التاريخي العالمي واحدة .

ان كلمة الاستراتيجية في مصطلحات الحرب يفهم منها انها تعني تحليل الاهداف التي يراد انجازها ، واضعين في الاعتبار موقفا عسكريا كليا وكل الوسائل لبلوغ هذه الاهداف . ولكي نصل الى تقدير استراتيجي سليم من وجهة النظر الفدائية ـ من الضروري القيام بتحليل أساسي لمنهج العمل الذي سيلجأ العدو اليه . وقوته البشرية وقدرته على الحركة وما يلقاه من تأييد شعبي وما لديه من سلاح وقيادة . وعلينا بعد ذلك أن نضع الاستراتيجية التي تفضل غيرها

ـ التتمة على الصفحة ١٧٢ ـ

استراتيجية العمل الفدائي

ـ تتمه المنشور على الصفحة ٢٠ ـ

في مواجهة هذه العوامل ، آخذين في الاعتبار دائما ان الهدف النهائي تحطيم جيش العدو . وعندما تتم هذه الدراسة وتستكمل تقييم الاهداف وتحليلها يغدو من الضروري أن تمضي بتخطيط الاجراءات التي تضمن تحقيق الهدف النهائي .

أما التكتيك فهو يعني في الاصطلاح العسكري الاساليب العملية التي تستخدم لتحقيق الاهداف الاستراتيجية والتكتيك بالمقارنة بالاهداف النهائية أكثر مرونة وقدرة على الحركة .

وتقضي القوانين الاستراتيجية العامة اذن بتحليل خصائص العدو المميزة ، وخصائص الحركة الفدائية نفسها المميزة بالاضافة الى تحليل الموقف الداخلي وتحليل الموقف الدولي أيضا .

الحرب الفدائية .. ظاهرة العصر

وللحرب الفدائية في ذاتها ـ ونعني حرب العصابات ـ خصائصها وأهدافها التي تتميز بها ، ومن أهم هذه الخصائص انها سلاح تستخدمه البلاد الفقيرة في سلاحها ومعداتها العسكرية ضد بلاد أقوى منها . ولعل هذه الناحية بالذات هي السبب الجوهري في ان حرب العصابات أصبحت مظهرا ضخما في صراعات القرن الحالي أكثر من أي وقت مضى . فقد غدت حروب العصابات في الحرب العالمية الثانية منتشرة كل الانتشار حتى أصبحت ظاهرة عالمية وتطورت ونمت في جميع البلاد الاوروبية التي احتلها الالمان ، وفي منطقة الشرق الاقصى التي احتلها اليابانيون .

ويعزو « ليدل هارت » ـ المؤرخ العسكري الاميركي ـ نحو حرب العصابات في كل هذه المناطق مستثنيا الصين ـ الى كتابات لورانس المعروف باسم « لورانس العرب » ، التي كانت في رأيه « ثمرة للتجارب المشتركة التي خاضها لورانس وما انطوت عليه من انعكاسات أثناء الثورة العربية ضد الاتراك » .

وقد انتشرت حرب العصابات من الشرق الاقصى الى الشرق الاوسط وقبرص وأميركا اللاتينية باعتبار انها الاسلوب الناجح الوحيد في مواجهة تعاظم القوى العسكرية للدول الاستعمارية . وباعتبارها الاسلوب الوحيد أيضا للاستفادة من « ميزان الرعب النووي » بمواجهة القوى العسكرية الضخمة بأسلوب يعجزها عن استخدام قوتها الضاربة الذرية . وقد أعلن ريتشارد نيكسون الرئيس الاميركي الحالي ـ في عام ١٩٥٤ ، وكان نائبا للرئيس الاسبق ايزنهاور ـ « اننا تبنينا مبدأ جديدا . فبدلا من أن نسمح للشيوعيين بأن ينهشوا منا بصورة متدرجة حتى نموت في طول العالم وعرضه عن طريق الحروب الصغيرة ، سنعتمد في المستقبل على قواتنا الانتقامية المتحركة الضخمة » .

وكان تعقيب المؤرخ العسكري هارت على هذا بقوله : « ان ما انطوى عليه هذا القول من تهديد باستخدام الاسلحة النووية في وقف حروب العصابات هو شيء في غاية السخف ، اذ كان أشبه بمن يتحدث عن استخدام المطرقة الكبيرة في القضاء على سرب البعوض » .

على ان من المهم للغاية أن نراعي الفرق بين المقاومة على النحو الذي كانت تمثله فرق الانصار في أوروبا ابان الاحتلال النازي ، وحركات العصابات الثورية . الاولى تفتقر عادة الى المضمون العقائدي الذي يميز الاخيرة دائما . وتتميز المقاومة بطبيعتها التلقائية ، فهي تبدأ أولا ثم يجري تنظيمها بعد ذلك . أما حركة العصابات الثورية ـ على النحو الذي تمثله الحركات الثورية في أميركا اللاتينية ـ فهي تنظم أولا ثم تبدأ بعد ذلك .

ولكن الفرق الاهم بين « المقاومة » وحركة حرب العصابات يكمن في انه لا يمكن تصفية المقاومة عامة ، انما هي تنتهي فقط عندما يتم طرد الغزاة . أما حركة العصابات الثورية فاما أن تنتهي بالنجاح في استبدال الحكم القائم أو تنتهي بتصفيتها هي .

البعد السياسي للعمل الفدائي

ورغم هذه الفروق فان العمل الفدائي كما تقوم به حركة المقاومة لا يختلف كثيرا عن العمل الفدائي كما تقوم به حركة حرب عصابات ثورية . كلاهما يركز من الناحية الاستراتيجية على مبدأ ألا يتحول في أي وقت من الاوقات الى هدف يضربه العدو . كذلك فان العمل الفدائي في الحالين « تقوم به القلة ، ولكنه يعتمد على الكثرة » ، ورغم انه يعتبر من أكثر صور العمل العسكري فردية فهو يعمل بفاعلية ولا يحقق غاياته الا اذا دعم جماعيا بعطف الجماهير وتأييدها .

ومن هنا كانت ضرورة « دراسة العلاقة بين الحرب الفدائية والسياسة الوطنية » وهو المبدأ الذي على أساسه قال ماوتسي تونغ ابان الحرب الثورية الصينية : « لما كانت مقاومتنا تحمل طابع مقاومة البلاد شبه المستعمرة ضد الامبريالية ، فان من الضروري أن تحمل عملياتنا الحربية أهدافا سياسية محددة بصورة واضحة وأن نتحمل مسؤوليات سياسية أساسية وثابتة » . وعلى أساس هذا المبدأ نفسه وغيره من مبادىء « استراتيجية الحرب الثورية » حدد الزعيم الصيني سبعة أهداف لتحقيق التحرير :

- اثارة الشعب وتنظيمه .
- تحقيق الوحدة الداخلية السياسية .
- اقامة القواعد .
- تجهيز القوات بالمعدات .
- بعث القوة الوطنية .
- تحطيم قوة العدو الوطنية .
- استعادة الاراضي السليبة .

ومن الواضح أن من بين الاهداف السبعة ثلاثة أهداف سياسية تتعلق بتعبئة الجماهير وراء الحرب الفدائية أو هي اثارة الشعب وتنظيمه ، بتحقيق الوحدة الداخلية السياسية وبعث القوة الوطنية .

وفي هذا المعنى نفسه قال غيفارا :

« ينبغي في الوقت الذي نقيم فيه مركزا لدراسة عمليات المستقبل ، أن نقوم بعمل مركز وسط الشعب ، شارحين أهداف الثورة وأساليبها ، ناشرين الحقيقة التي لا بديل لها وهي انه بدون الشعب لا يمكن أن يكون انتصار . أما أولئك الذين لا يفهمون هذه الحقيقة التي لا شك فيها فهم لا يمكن أن يكونوا فدائيين » .

ويكمل هذا البعد أو العمق السياسي للعمل الفدائي المعنى الذي عبر عنه غيفارا في كتابه عن حرب العصابات : « ان الانسان ـ لا السلاح ولا المال ـ هو العنصر الحاسم في الكفاح المسلح ، ولذا فان واجب الثورة أن تتعهد ببناء الانسان الثوري » .

والانسان الثوري هو ـ بلا خلاف ـ الانسان الذي يستطيع أن يتحرك وسط الجماهير مكتسبا ثقتها بأنه يعمل لقضيتها ، مكتسبا تأييدها لنشاطه مهما كان ثمن هذا التأييد ، مكتسبا كوادر جديدة لحركته في وسط هذه الجماهير نفسها .

واذا كانت القوانين الاستراتيجية للحرب الفدائية ـ سواء كمقاومة مسلحة أو حرب تحرير ثورية شاملة ـ تختلف وتتطور من مجتمع لآخر ومن فترة تاريخية لاخرى ، فان اعتباراتها السياسية أيضا تتغير وتتطور بنفس القدر .

فالاعتبارات السياسية الاستراتيجية للعمل الفدائي في بلد شبه مستعمر كالصين في الثلاثينات والاربعينات من القرن الحالي غير الاعتبارات السياسية لها في بلد « مغتصب » تماما كفلسطين تعيش

جماهيره خارج وطنها ، باستثناء قلة قعيدة الحركة تماما . وهـذه أيضا تختلف عن الاعتبارات السياسية لاستراتيجية العمل الفدائي في بلد مثل انغولا حيث المستعمر ـ رغم طول بقائه على الارض ـ لا يزال غريبا ولا يزال مجرد محتل ، حتى وان اتخذ الاحتلال صورة الاستيطان فان الاستيطان لم يحول أهل الوطن الانغولي نفسه الى أقلية .. وانما بقي المستوطنون البرتغاليون المستعمرون هم الاقلية في بحر الاغلبية الشعبية الافريقية من الانغوليين .

الرأي العام العالمي

يبقى من الاعتبارات السياسية بعدها الدولي . ونعني به الموقف العالمي الرسمي وغير الرسمي من البلد المعين وحركة المقاومة المعينة . فحركة التحرير الشعبية في موزمبيق مثلا تناضل ضد بلد مستعمر ـ هو البرتغال ـ يوصف بهذا الوصف رسميا في ملفات الامم المتحدة ويتم التعامل معه على انه البلد المستعمر المسؤول . فلا جدال بين هيئات الرأي العام العالمي الرسمي أو غير الرسمي على أن وجود البرتغال في موزمبيق وجود استعماري ، مهما تحدثت البرتغال عن « رسالتها الحضارية والمسيحية في افريقيا السوداء » . ولكن ماذا عن فلسطين ؟ ان العمل الفدائي الفلسطيني هو أمام الراي العام العالمي ـ الرسمي على الاقل ، ان لم يكن الرسمي وغير الرسمي معا ـ يناضل ضد وجود « شرعي » من وجهة النظر الشكلية والقانونية سواء في الامم المتحدة أو خارجها ، هذا الوجود المعترف به دوليا هو اسرائيل ، مما يجعل حدود حركة العمل الفدائي الفلسطيني ـ على الصعيد العالمي ـ مقيدة بهذا الاعتبار ، مقيدة بمقاومات عديدة تترتب على هذا الاعتراف الدولي بـ «دولة اسرائيل» و « حق اسرائيل في الوجود » . ان العمل الفدائي الفلسطيني يناضل ضد دولة لا ينظر اليها على انها مستعمرة لفلسطين ، وانما ينظر اليها على انها هي القوة الوطنية القائمة على أرض فلسطين ، وهي عضو في الامم المتحدة ، لا يوصف بانه حكومة مستعمرة وانما ينظر اليها على أنها الدولة التي تقع حدودها الاصلية على أرض فلسطين وليست لها حدود « فيما وراء البحار » .

وتمتد الجوانب النظرية لموضوع استراتيجية العمل الفدائي الى تفصيلات عديدة صنعها الفكر النظري الثوري والتجارب العملية الثورية للشعوب والقيادات التي سبقت الى استخدام أسلوب « الحرب الثورية » لتحقيق أهدافها ضد قوى عسكرية كبرى . ويعد أهم تراث للفكر النظري المعاصر في موضوع استراتيجية حرب العصابات أو استراتيجية العمل الفدائي ذلك الذي تمثله كتابات ماوتسي تونغ عن استراتيجية الحرب الثورية وكتابات غيفارا عن حرب العصابات وكتابات هوشي منه وجنرال جياب عن النضال التحرري المسلح في التطبيق الفيتنامي .

وليس هنا مجال التفاصيل العديدة والدقيقة لنظرية الحرب الثورية واستراتيجيتها .

الا انه يتضح من النظرة العامة الشاملة الى حركات التحرير الثورية في أهم تجاربها المعاصرة ـ الصين وكوبا وفيتنام ـ ان هنالك مثلثا يشكل الاطراف الرئيسية للصراع من حيث عناصره البشرية :

أولا ـ الفئة الثورية الطليعية .

ثانيا ـ جماهير الشعب .

ثالثا ـ النظام الحاكم الاستعماري أو الموالي للاستعمار والمرفوض من الشعب .

ومن الواضح انه اذا اقتصرت هذه العناصر على العنصرين البشريين الاول والثالث ، أي اذا غاب عنصر حضور جماهير الشعب كطرف أساسي في الصراع الثلاثي ، فان الحركة لا ترقى الى مستوى حرب التحرير الثورية وتبقى حركة حرب عصابات محدودة أو حركة مقاومة لنظام حكم . وتوفر العنصر البشري الثاني ـ الذي تمثله جماهير الشعب بعرضها الكامل ـ هو العمل الحاسم في تحول المقاومة الى حرب تحرير ثورية .

موقع العمل الفدائي الفلسطيني

ويصبح السؤال المطروح الآن أمامنا ـ وحركة المقاومة الفلسطينية هي همنا الرئيسي في القضية القومية وفي القضية الوطنية الفلسطينية في وقت معا ـ هو : أين موقع العمل الفدائي الفلسطيني من هذه المقولات الاساسية في استراتيجية الحرب الثورية ؟

ومن الخطأ عند الاجابة على هذا السؤال ـ ان نبحث عن اجابة استاتيكية (ثابتة) تحاول أن تصنف العمل الفدائي الفلسطيني تصنيفا نهائيا بانه مقاومة مسلحة أو مقاومة شعبية أو حرب عصابات أو حرب تحرير ثورية .

فانه برغم الخلفية التاريخية للمقاومة الفلسطينية ضد السيطرة اليهودية والتوسع الصهيوني في فلسطين منذ العشرينات ، فان العمل الفدائي بصورته ونوعيته ومداه الحالي في فلسطين حديث العهد في مواجهة العدو الاسرائيلي في صورته ونوعيته وقوته الحالية . واذا كانت نكسة يونيو « حزيران » ١٩٦٧ قد فجرت للعمل الفدائي الفلسطيني طاقات لم تكن قد خرجت من مرحلة الكمون قبل ذلك ، فانها ـ على الجانب الآخر من الرؤية ـ قد أوضحت مدى استفادة العدو من سنوات حكمه الاستيطاني التوسعي على أرض فلسطين فيما لم تتح الفرصة للعمل الفلسطيني لدخول مجال المقاومة المسلحة لفترة طويلة ، ثم لم تتح له الفرصة للتصاعد من مرحلة المقاومة المسلحة المحدودة الى مرحلة التعبئة الشاملة الفلسطينية لحرب ثورية ، وبعد ذلك الى مرحلة التعبئة الشاملة العربية لحرب ثورية تحرر أرض فلسطين وتلغي الكيان الصهيوني .

لقد حقق العمل الفدائي الفلسطيني خلال فترة قصيرة نجاحات

دار النعمان

تقدم باكورة منشوراتها

١ ـ تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي

بقلم الدكتور أسعد علي

تقديم جديد لكتاب العلامة الشيخ عبد الله العلايلي في فقه اللغة العربية وتطورها .

٢ ـ فن المنتجب العاني وعرفانه

تأليف الدكتور اسعد علي

كتاب في النقد الادبي والفلسفي
نال صاحبه عليه درجة الدكتوراه
بمرتبة امتياز مع الشرف الاولى

تكتيكية باهرة ، خاصة في ضوء ما لدى العدو من قوة رادعة وما صار اليه من وضع استراتيجي ممتاز نتيجة لانتصاره العسكري في معارك يونيو ٦٧ في جبهاتها الثلاث . ولكن الامر المؤكد ان العمل الفدائي الفلسطيني في حدود حركته الحالية لا يرمي الى الوصول الى الهدف الاستراتيجي الرئيسي لاي حرب تحرير ثورية وهو تحقيق التوازن مع قوة العدو كخطوة أولى ضرورية الى الحاق الهزيمة به . تماما كما ان المقاومة الفرنسية للنازي في الحرب العالمية الثانية لم تكن ترمي استراتيجيا الى القيام بمهمة اخراج جيوش هتلر من فرنسا . وبرغم فارق هام هو ان المقاومة الفرنسية كانت مقاومة يظاهرها الشعب الفرنسي وتظاهرها مساعدات الجيوش النظامية للحلفاء التموينية والفنية .

الاهداف التكتيكية

وفي المرحلة الحالية من العمل الفدائي الفلسطيني فانه قادر على تحقيق العديد من الاهداف التكتيكية ـ الهامة والضرورية ـ ولكنه يظل دون مستوى الاهداف الاستراتيجية لعدة اسباب :

- انه لم يتم بعد تعبئة الجماهير الفلسطينية لمظاهرة العمل الفدائي ودعمه وتطعيمه باستمرار .
- انه لم يتم بعد توحيد منظمات العمل الفدائي الفلسطينية للوصل بين الاستراتيجية العسكرية للعمل الفدائي والاستراتيجية السياسية للعمل الوطني الفلسطيني ككل .
- ان العدو الاسرائيلي يقيم استراتيجيته على منع المعارك أصلا من الاستمرار على « أرضه » وينطبق على هذا المعارك التي يخلقها العمل الفدائي ، خاصة اذا بدأت تتحول الى عمليات أوسع نطاقا وأعمق بعدا وتأثيرا .
- ضخامة امكانيات العدو الذي تسانده قوى امبريالية تضع في متناوله باستمرار امكانيات ضخمة بديلة ولا تسمح بحدوث هزائم « استراتيجية » له باعتباره قاعدة هامة لها في المنطقة .
- عدم وجود الخطة العامة للربط بين استراتيجية العمل الفدائي الفلسطيني ، واستراتيجية الدفاع العربي ، والثاني يمثل البعد الاعمق للاول .

طبيعة فلسطين الجغرافية والاجتماعية

والى جانب هذه العوامل الرئيسية فان هناك عدة عوامل اضافية قد تبدو ثانوية ـ وقد يصبح في الامكان ازالتها مع الوقت ـ ولكنها ذات تأثير في العمل الفدائي وقدرته على الاتساع والتصاعد . فالخلاف القائم مثلا حول ما اذا كانت طبيعة فلسطين الجغرافية ملائمة أو معوقة للعمل الفدائي الفلسطيني تؤكد حقيقة واحدة هي ان هذه المسألة لم تدرس علميا وتفصيليا بدرجة كافية لتحديد مقاييس سليمة فيها .

(هناك رأي ـ على سبيل المثال ـ يقول انه يجب الاستفادة من جبال نابلس التي تغطيها أشجار الزيتون ومن جبل تل العصفور الذي تبلغ أعلى قمة فيه أكثر من ألف متر) .

ومهما يكن من أمر فانه لا ينبغي التصور بأن آثار العمل الفدائي الفلسطيني محصورة في نطاق الآثار المادية المباشرة للعمليات العسكرية. ان العمل الفدائي ـ حتى في حدوده التكتيكية ـ يمد آثاره الاقتصادية والنفسية الى أبعد من هذا النطاق . ويزيد من حالة القلق التي تسيطر على الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة .

- يزيد اهتزاز الاوضاع الاقتصادية عبر تأثيره على حركة انتقال رؤوس الاموال الى المزارع الاسرائيلية .
- يساعد على الحد من الهجرة الى اسرائيل .
- يزيد عملية الهجرة العكسية من اسرائيل الى الخارج .

ومع ذلك فان العمل الفدائي الفلسطيني ـ على المدى البعيد ـ لا يستطيع أن يضع في استراتيجيته أهدافا أساسية هي جزء من استراتيجية العمل الفدائي لحركات التحرر الوطني .

هل تستطيع الثورة الفلسطينية أن تجتذب الفرد اليهودي الاسرائيلي لتسحب البساط من تحت أقدام الحكم الاسرائيلي لتقيم حكما تحرريا ؟

هناك رأي يقول ان هذا ممكن . فقبل النكبة (١٩٤٨) كان هناك بريطانيون يحاربون في صفوف الثورة الفلسطينية ، وانه يوجد اليوم نفر قليل من الزنوج الاميركيين الهاربين من الخدمة يحاربون في صفوف الثورة الفيتنامية .

والرد على هذا الرأي هو من واقع هذه الامثلة نفسها . ان القلة من البريطانيين التي حاربت الى جانب العرب ـ حتى على فرض صحة هذه الواقعة المشكوك فيها أو على الاقل المشكوك في الهدف من ورائها ـ لم تغير الموقف العسكري الكلي في فلسطين ولم تسحب البساط من تحت أقدام الحركة الصهيونية . والقلة من الزنوج التي تحارب الى جانب الثوار في فيتنام لم تسحب البساط من تحت أقدام الحكم في واشنطن .

وبصرف النظر عن كل هذه الاعتبارات فان الثورة الفلسطينية لا تستطيع ـ ولا يمكن أن تفكر في أن تضع في استراتيجيتها ـ أن تقدم نفسها لليهود الاسرائيليين كبديل أفضل عن نظام الحكم الاسرائيلي !!

وقد عبر عن هذا الرأي بصورة محددة أحد قادة « فتح » في حديث مع أ. زاباتا نشرته مجلة « Tricontinental » التي تصدرها منظمة تضامن شعوب القارات الثلاث في هافانا .. اذ قال : « يتعين على حركتنا أن تواجه مصاعب كثيرة . انها تختلف كثيرا عن حركات التحرير الوطني في أميركا اللاتينية في عدد من الجوانب وعن كل حركات التحرير الوطني الاخرى في جوانب أخرى . فنحن لا نستطيع ـ مثلا ـ أن نعول على تأييد العمال والفلاحين أو أية مجموعة من الشعب ـ مهما كانت ـ داخل اسرائيل . فقد أعلنوا جميعا عداءهم لنا : رغم ان نضالنا ضد الامبريالية ومن أجل تحرير وطننا . والجانب الآخر هو الارض ، فحيث انه لا توجد جبال او سهول تغطيها الغابات يتعين علينا أن نقوم بعملياتنا الفدائية في مناطق خالية تماما من المزروعات ، وهذا هو السبب في اننا لم نتمكن من استخدام الخبرات الثورية للشعوب الاخرى استخداما أفضل . ان علينا أن نخلق مناهجنا الخاصة وتكتيكاتنا الخاصة باستمرار » .

واذا كان هذا هو الحال بالنسبة لطبقات المجتمع الاسرائيلي فان التركيب الطبقي للشعب الفلسطيني نفسه يفرض مشكلة خاصة بالجانب السياسي لاستراتيجية العمل الفدائي الفلسطيني ، ذلك ان العدو الاسرائيلي قد قضى أصلا في عام ١٩٤٨ على البورجوازية الفلسطينية الكبيرة وشتت قسما كبيرا من البورجوازية الفلسطينية الصغيرة وتفتتت في مجالات العمل المختلفة في البلاد العربية . ويلاحظ

المكتبة الوطنية وفروعها

البحرين ـ الخليج العربي

وكلاء توزيع كتب ومجلات وادوات مدرسية
اطلبوا منها

مجلة « الآداب » ومنشورات « دار الآداب »

انها قد توزعت على بلاد عربية ـ وغير عربية أيضا ـ ليست هي أساسا البلاد العربية المضيفة للاجئين الفلسطينيين الذين يشكلون السواد الاعظم من شعب فلسطين .

وفي ضوء هذه الحقيقة فليست هناك الآن طبقة بعينها تستطيع ان تدعي أو تطلب حق قيادة حرب المقاومة الفلسطينية . وفي هذا الصدد فان حركة « فتح » تطرح رأيها على النحو التالي : « ان الفرق بين الحزب وحركة التحرير الوطنية هو ان الحزب يهدف الى تحرير الانسان ـ الى تحرير طبقة من الناس ـ بينما تهدف حركات التحرير الى تحرير الارض ولا تولي مشكلة تحرير الانسان ـ قبل وصولها الى المرحلة النهائية من تحرير الارض ـ أية عناية تذكر . ان التناقض الرئيسي في مجتمع خاضع للاحتلال هو وجود المستعمر » .

على انه بالنسبة للعمل الفدائي الفلسطيني بالذات فان الراي المستقر هو أن العمليات الفدائية ليست سوى تمهيد لحرب تحرير شعبية شاملة ، مادة الكفاح فيها هو الشعب العربي باسره ، انما الشعب الفلسطيني « رأس حربة » .

وعندما تدخل المقاومة الفلسطينية المسلحة مرحلة الثورة تصبح في حاجة الى مؤسساتها الداخلية مما يعطيها شخصية متقدمة . فهي بحاجة مثلا الى محاكم عسكرية تعمل بقوانين وتصدر احكاما ، والى صناعات للاكتفاء الذاتي لنشاطها العسكري . وحتى ينتقل العمل الفدائي من مرحلة اقلاق العدو بصورة محدودة نسبيا الى مرحلة تقويض دائم لاستقرار العدو لا بد له من ان يحقق ثلاثة شروط : الشمول والاستمرار والعمق . والشمول هو أن يغطي العمل الفدائي الاراضي المحتلة باكملها سواء السابقة على يونيو ٦٧ أو اللاحقة له بدلا من ان يرتكز على مناطق الحدود . أما الاستمرار فهو عدم الانقطاع عن كيل الضربات للعدو يوما بعد يوم . والعمق هو تسديد الضربات باحكام الى الاهداف ، عسكرية كانت أم غير عسكرية ، بحيث تلحق أشد الضرر بالعدو وتنال من طاقاته وقدراته العسكرية والاقتصادية والبشرية والمعنوية .

فهل يتجاوز هذا طاقات الشعب الفلسطيني ؟ شروط ذلك أن يتم توحيد المنظمات مع تنسيق حقيقي وعلى أرفع مستوى بين الحركة الفدائية الفلسطينية والجهات العربية التي تؤمن بها مع احتفاظ الاولى باستقلاليتها الكاملة . ان الحركة الفدائية الفلسطينية لا يمكنها في النهاية أن تنمو وتصبح ثورة دون حماية حقيقية وأكيدة من الشعب العربي .

ومن أجل هذا النمو الضروري من مستوى المقاومة المسلحة المحدودة الى مستوى الثورة الشاملة ينبغي تحقيق ضرورات أساسية في استراتيجية العمل الفدائي :

- طول النفس .
- ايجاد مجالات جغرافية أعمق من المناطق المتاخمة لاسرائيل .
- لا بد من وجود القدرة على الرد والاستعداد له ، بمعنى انه في حالة قيام المقاومة الفلسطينية ـ او العمل العربي بوجه عام بالضربة (أ) ـ يقوم العرب في الوقت ذاته بالاعداد الجدي للضربة (ج) حتى تكون بمثابة الرد على الضربة (ب) المتوقعة من الجانب الاسرائيلي طبقا لاسلوب الضربات الانتقامية والثارية الاسرائيلية . ومن الواضح أن اسرائيل تعمل بهذا الاسلوب نفسه وربما على مدى أوسع .

عوائق أمام العمل الفدائي

ولا يغيب عن أذهاننا ان تحقيق هذه الضرورات يواجه عدة عوائق :

- العمل الفدائي لم يتمكن للان من تعبئة الشعب كله تعبئة شاملة ومنظمة (ولا أقصد نظامية) .
- العدو متمرس بحرب العصابات .
- الظروف المناخة القاسية صيفا وشتاء ، والتضاريس الطبيعية البسيطة التي تكشف الفدائي أكثر مما تحميه .
- عدم وجود حدود عربية واحدة .
- طائرات الهليكوبتر الاسرائيلية تستطيع أن تصل الى سماء أي منطقة في سماء فلسطين المحتلة قديما في غضون ٧ دقائق فقط !
- مشكلة ايجاد قواعد عاملة للعمل الفدائي الفلسطيني داخل اسرائيل أي داخل فلسطين المحتلة قديما . وهذا عمل لا يزال في بدائيته .
- تكوين جيش نظامي للثورة الفلسطينية يحمي ظهر الفدائي ويزوده بالاسلحة ويكفل له التدريب (دليل بداية وجود هذا الجيش المدافع الثقيلة ، ووسائل النقل والمنشآت الانتاجية الدائمة) .

ولهذا الجانب ايجابياته التي تساعد على تخطي هذه العقبات أمام العمل الفدائي الفلسطيني .. ان العمل الفدائي هو النشاط العسكري العربي الوحيد الذي لا يخضع لضغط الاستعمار الاميركي مباشرة ـ كما هو الحال بالنسبة للنشاط العسكري العربي النظامي . ان الاستراتيجية الفدائية الفلسطينية هجومية في طابعها الاساسي ، وقد فشلت محاولة اسرائيل المتكررة ـ في الكرامة والسلط والاغوار الشمالية ـ لالزامها مواقع الدفاع . ان أسلوب الهجوم الخاطف الذي تعتمد عليه اسرائيل لا يصلح لضرب العمل الفدائي بالشكل الذي افلح به في تحطيم القوة العسكرية النظامية .

ان حرب التحرير حرب قاسية وطويلة . هذه حقيقة التاريخ والتجارب الماثلة للشعوب ، وينبغي ان تظل ماثلة في أذهان كل العرب. والعمل الفدائي الفلسطيني مطالب بتحقيق استراتيجية حرب التحرير بان يتركز على أكثر المساحات التي تكمن فيها قوى الجماهير الفلسطينية ومطالب في الوقت نفسه بان يعمل وسط جماهير معادية ـ هي جماهير السكان الاسرائيليين ـ وهذا مما يضاعف صعوبته ولا سبيل الى مواجهة هذه الصعوبة الا باستراتيجية عسكرية وسياسية هدفها تحطيم اقتناع العدو بقضيته .

القاهرة — سمير كرم

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

١ ـ **نظام الاسلام** (العقيدة والعبادة)
للاستاذ محمد المبارك

٢ ـ **المجتمع الانساني في ظل الاسلام**
للشيخ محمد ابو زهرة

٣ ـ **نظام الحكم في الاسلام**
للدكتور محمد عبد الله العربي

٤ ـ **مدى حرية الزوجين في الطلاق**
في الشريعة الاسلامية (دراسة مقارنة)
للدكتور عبد الرحمن الصابوني

٥ ـ **نظام الاسرة وحل مشكلاتها في ضوء الاسلام**
للدكتور عبد الرحمن الصابوني

٦ ـ **الوصايا الخالدة**
جمع وتحقيق عبد البديع صقر